

# نظرة اقبال عن الباكستان

عناية الله صديقي

يزارون سال نركس ابني بي نوري به روتي سه  
بثري مشكل سي بيوتاتي جمن مين ديدرور بيذا •  
( اقبال )

« ان زهرة النرجس تبكي آلاف السنين أنها غير جميلة وأن زائرها يعاني  
المشقة الطويلة اذ يأتي لزيارتها » •

ليس لي أن أطيل حديثي بعد أن ترادف الأساتذة المحاضرون الذين قدّموا  
بحوثاً طيبة عن اقبال المحتفى بذكراه • غير أنني أرى أن أعطي لمحة سريعة عن  
نظرية اقبال عن باكستان •

ظهر اقبال في شبه الجزيرة الهندية - الباكستانية منفرداً متميزاً شأنه شأن  
الحكماء والمفكرين والعباقرة الذين يظهرون كالنجوم في بلادهم وكان ظهوره في  
الزمن الذي كان مسلمو شبه القارة الآسيوية يرزحون فيه تحت ظلم واضطهاد  
الاستعمار الانكليزي ، أي في الزمن الذي يترجم مشاعرهم ويعبّر عن مطالبهم  
وآمالهم بعد أن استولى الانكليز بالغدر ومساعدة الهنادكة على تقاليد الحكم في  
الامبراطورية الاسلامية • وقد صدم المسلمون بالواقع صدمة عنيفة ثم أفاقوا  
على شيء لم يكونوا يتوقعونه • والحقيقة هي أن الانكليز كانوا قبل سنة ١٨٥٧ م  
قد استولوا على قسم كبير من شرقي الهند وغربها وجنوبها وكانت الامبراطورية

المغلية الاسلامية قد أصبحت اسماً بلامسمى أو مظهراً من مظاهر الماضي ، ولكن المسلمين لم يدركوا هذه الحقيقة فلما أدركوا حقيقة وضعهم الجديد وأنهم أصبحوا خوّلاً وعبيداً بعد أن كانوا أعزة وسادة ثاروا لاستعادة حريتهم ومجدهم ولكن الوقت كان قد فات .

وهكذا رأى مسلمو الهند بعد علو الشأن أنهم أصبحوا ضائعين . وقد حاق بهم الأذى بسبب ما كانوا يَلْتَقُونَهُ من وحشية واجرام الانكليز الذين كانوا يقتلون الرجال والنساء والأطفال لمجرد الارهاب . . . . وناهيك بغدر الانكليز ووحشيتهم . . لهذا لجأ المسلمون الى سياسة الانكفاء فاعتنم الهنادكة هذه الفرصة ومدوا أيديهم الى الانكليز أو بالأحرى ازدادوا رغبة في الولاء للانكليز وأخذوا يتعاونون معهم فاحتلوا خير المناصب الحكومية وأصبحوا والانكليز يتولون أمر البلاد . وازاء هذا الوضع لم يجرؤ أحد من المسلمين على الاقدام على معالجة الأمر معالجة ايجابية حتى قام السيد أحمد خان واعترف بالأمر الواقع ورأى أن سبب ما حل بالمسلمين هو الجهل ، اذ استطاع الانكليز من خلال تمزيق اللغتين الفارسية والعربية اللتين كانتا اللغتين الرسميتين في أوساط العلماء والمثقفين آنذاك كما رأى سيد أحمد خان أن العلاج الوحيد والمفيد هو العلم . ولم يكن سيد أحمد خان رجل فكر فقط بل كان رجل عمل وتصميم فأخذ على عاتقه تعليم المسلمين العلوم العصرية واللغة الانكليزية مؤكداً أن العلم وحده هو أساس النهوض .

وفي الوقت ذاته كان هناك شخص آخر هو سيد أمين علي الذي سار في غير نهج سيد أحمد خان اذ أنه رأى أن التعاليم الاسلامية وحدها كافية لتكون أساس النهوض وأسس حركة تدعو المسلمين الى احياء ماضي الاسلام . لقد شغلت هاتان الحركتان الأجواء الهندية بعد حرب التحرير الاسلامية ولكن النصر كتب في النهاية بطبيعة الأمور للسيد أحمد خان . ثم جاء على أثره العلامة الدكتور الفيلسوف محمد اقبال المولود سنة ١٨٧٧ ، ثم جاء محمد علي جناح المولود سنة ١٨٧٦ فحمل الاثنان مشعل الفكر والعمل في شبه الجزيرة شبه القارة الآسيوية اذ كان اقبال فيلسوفاً وشاعراً ومفكراً وكان جناح حقوقياً وعاملاً فكان اقبال يُرسل الفكرة ويهندس الخطة وجناح يتولاها بالتنفيذ . . .

فلما عاد اقبال من مؤتمر لندن يائساً من الهنادكة ودعا في مؤتمر الله آباد سنة ١٩٣٠ الى دولة اسلامية مستقلة عن الدولة الهندوكية ، كان جناح ما يزال يدعو الى توحيد الجهود في وزن الأمور بميزانها المستقيم العادل فانصرف ومال الى فكرة العلامة اقبال لأنه رآها الحل الوحيد الناجح والمعقول ليعيش كل من الفريقين في خير ، في نطاق ثقافته ، وتفكيره وعقيدته . نادى اقبال في اجتماع الرابطة في مدينة الله آباد بضرورة خلق وطن للمسلمين منفصل عن الهنادكة ولم يكن ما قاله اقبال عن تقسيم مستعمرة الهند الانكليزية حلاً للخلاف عن تعصب بل لدفع تعصب الهنادكة ولذا فانه كان يقول :

« اني أكن كل احترام لعادات الغيروقوانينهم وأديانهم وتقاليدهم وان من واجبي تبعاً لأحكام القرآن الكريم أن أدافع أيضاً عن أماكن عباداتهم اذا اقتضى الأمر » ولكن الهنادكة كانوا يقابلون هذا المنطق المتسامح بتعصبهم الذميم . وقد وجد المسلمون في الزعيم جناح الذي ترجم أقوال اقبال بتعايره الفضة الى وثيقة قانونية منفذاً ماهراً . وفي رسالة بعث بها جناح الى مجلة الشباب في لكنهو قال : اننا أمة ولسنا أقلية اننا قوم من مئة مليون نسمة لنا ثقافتنا ومدينتنا ولغتنا وآدابنا وفننا وهندستنا وأسماءنا وقوانيننا ونظمنا الأخلاقية ولنا تاريخنا وتقاليدينا وعاداتنا وطموحاتنا وبالاختصار فان لنا نظرتنا الخاصة الى الحياة ثم نحن بموجب جميع القوانين أمة قائمة برأسها .

لقد كان اقبال لا يهتم بمشاكل المسلمين في الهند والباكستان فقط بل كان ينظر الى القضايا الاسلامية والعربية كافة وكانت شغله الشاغل فاذا خطب العربي فانه ينادي المسلم واذا نادى الشرقي فلكي يقف الى جانب العربي - فالاسلام عنده لصيق بالعروبة وعبر عن هذا المعنى فقال :

**أنا أعجمي الدن لكن خمرتي صنع العجاز وكرمها الفينان**  
**ان كان لي نغم الهند ولعنهم لكن هذا الصوت من عدنان**

ولهذا كان من الطبيعي أن يشارك اقبال العرب همومهم في فلسطين على أننا اذا مررنا بأفكار اقبال وفلسفته ونظراته الصوفية وجدناه ذا نظر شمولي للانسان حيثما كان أليس هو القائل ما معناه أن الدروب الى الله بعدد بني آدم . والسلام

عنايت الله صديقي  
مسؤول عن القسم الثقافي  
في السفارة الباكستانية بدمشق